الجمهوريَّة الجزائريَّة الدِّيمقراطيَّة الشَّعبيَّة

وزارة التَّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر، باتنة(1) - الجزائر

كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة

قسم أصول الدِّين

مخبر العلوم الاسلامية في الجزائر

فرقة البحث: النَّزعة الرُّوحيَّة في الأديان ودورها في إرساء قيم التَّعايش والسَّلام ونبذ التَّطرف والغلو

تنظم الملتقى الوطني الموسوم بعنوان:

البُعد الإنساني في الفكر الصُّوفي ودوره في نشر الإسلام

المزمع عقده بتاريخ: 19 فيفري 2024م.

المحور الثَّالث: دور التَّصوُّف في نشر الإسلام في إفريقيا.

عنوان المداخلة: الطَّريقة التِّجانيَّة و نشر الإسلام في إفريقيا (دعوة وتثاقف).

المؤلف: الدُّكتور محمَّد حناي - جامعة الوادي - الجزائر.

mohammed-hannai@univ-eloued.dz

الملخص:

كان للطرق الصُّوفيَّة دوراً رئيساً في نشر الإسلام بإفريقيا مُعتمدةً في ذلك على جهد الأفراد المنتمين لها، حتى أسَّسوا كيانات روحيَّة قويَّة فكانت انطلاقاتهم ذات تأثير وفعل قوي في نشر الإسلام من خلال اعتماد آليات قوامها القرآن والسُّنة النَّبويَّة الشَّريفة، داعية للإسلام دين العالمين، بالاعتماد على التَّعليم والتَّدريس بمفهومه الواسع لأنَّه رافعة المفاهيم، مهرولة باتجاه التَّثاقف بين البشريَّة في قوالبها الحضاريَّة؛ فبهذا الجهد اكتسح الإسلام إفريقيا ما أقلق الكنيسة الكاثوليكيَّة وتصديها لانتشار فكر الطَّريقة التِّجانيَّة ورموزها ممثلة في شخص عمر الفوتي وتلاميذه.

الكلمات المفتاحيَّة: الطريقة التِّجانيَّة – نشر الإسلام – إفريقيا – الدَّعوة – التَّثاقف.

المقدمة:

تعتبر الطُّرق الصَّوفيَّة مدارس إسلاميَّة روحيَّة، همُّها الوحيد هو الوصول بالمسلم إلى المعرفة الحقَّة، ألاَ وهي معرفة الله سبحانه وتعالى بالاعتماد على الالتزام بظاهر الشَّريعة الإسلاميَّة من خلال تشريعات القرآن الكريم والسُّنة النَّبويَّة المُشرَّفة، مُعتمدة في ذلك على التَّعليم والتَّدريس، ناهيك على التَّوجيه الدَّائم بالنُّصح والإرشاد الذي يعتمد على الإفراغ ثمَّ الإحْلَالِ بما هو شرعي، ما جعلها تستقطب العديد من النَّاس فانتسبوا إليها لما وفَّرته لهم من راحة نفسيَّة ورقي علمي ومعرفي، من خلال اعتناقهم للإسلام ومفاهيمه الأخلاقيَّة السَّمحاء تطبيقاً وسلوكاً، فبجهد هذه الطُّرق الصَّوفيَّة انتشر الإسلام في إفريقيا، ومنهم: أنموذج دراستنا الطَّريقة التِّجانيَّة.

إشكاليَّة الدِّراسة: حتى نتعرف على دور هذه الطَّريقة الصُّوفيَّة في نشر الإسلام بإفريقيا، ارتأينا طرح الإشكاليَّة التَّالية: **كيف ساهمت الطَّريقة التِّجانيَّة في نشر الإسلام بإفريقيا، وما الآليات التي اعتمدتها في ذلك؟**

مُستعينين بعدَّة أسئلة استقصائيَّة هي:

- ✓ كيف دخلت الطَّريقة التِّجانيَّة لإفريقيا؟
- ✓ ما العوامل المؤدية لاستقطاب المريدين إليها؟
- ✓ ما الآليات التي اعتمدتها هذه الطَّريقة في نشر الإسلام بإفريقيا؟
- ✓ ما أثر انتشار الإسلام بإفريقيا على أيدي التِّجانيَّة؟

مناهج الدِّراسة: اتبعنا في هذه الدِّراسة ثلاثة مناهج هي:

- **المنهج التَّاريخي:** اعتمدناه لرصد الاحداث التَّاريخيَّة، ومحاولة وضعها في سياقها التَّاريخي حدوثاً واستنطاقاً من خلال مسيرة هذه الطَّريقة في الانتشار بإفريقيا.
- **المنهج الوصفي:** اعتمدناه في وصف الآليات المعتمدة في عمليَّة الدَّعوة والانتشار.
- **المنهج الاستقصائي:** اعتمدناه للقيام بمسحٍ شامل للآثار المترتبة على عمليَّة الانتشار وكيف استطاعت هذه الطَّريقة الصَّوفيَّة بناء الإنسان.
- **المنهج الاستقرائي:** اعتمدناه للملاحظة في كيفيَّة حصول عمليات الإفراغ من كلَّ سلوك ذميم عند الفرد الإفريقي، وإحلال مكانه السُّلوك السَّوي الرَّاقي، ما انبثق عنه مجتمعات إسلاميَّة فاعلة تختزن المقاومة والثَّوريَّة.

أمَّا التَّحليل فهو الصِّفة الملازمة في كامل الورقة البحثيَّة.

هدف الدِّراسة: الهدف من هذه الدِّراسة، تقديم مُقاربة علميَّة تستنطق مسيرة هذه الطَّريقة الصُّوفيَّة، في نشرها للإسلام وبنائها للإنسان الإفريقي ونقله حضارياً من موكب إلى موكب.

المصادر والمراجع المعتمدة في الدِّراسة: للإجابة عن الإشكاليَّة المطروحة استعنت بجملة من المصادر والمراجع التي تهتم بهذا الموضوع، وفي مقدمتها كتاب الدُّكتور "أحمد الأزمي" الموسوم بعنوان: "الطَّريقة التِّجانيَّة في المغرب والسُّودان الغربي"، وكتاب الدُّكتور "عبد الله عبد الرَّزاق" الموسوم بعنوان: "الصَّوفيَّة والمجتمع في غرب إفريقيا"، وكتاب الشَّيخ "خليل النَّحوي" الموسوم بعنوان: "إفريقيا المسلمة الهويَّة الضَّائعة"؛ كما اعتمدت على العديد من الدِّراسات والمقالات.

أوَّلاً- الطَّريقة التِّجانيَّة ودخولها لإفريقيا:

1)- الطَّريقة التِّجانيَّة: هي طريقة صوفيَّة إسلاميَّة أسسها العلامة الشَّيخ "أحمد التِّجاني" يوم 17 صفر 1196ه /31 جانفي 1782م بقصر "أبي سمغون"[1]، وكان مقرُّها بمدينة "عين ماضي"[2] بالصَّحراء الجزائريَّة، ونظير يُسر شروطها وسهولة أورادها[3] ووسطيَّة منهجها انخرط بها الكثير من العلماء، حيث عمل هؤلاء العلماء على غرس القيم والأخلاق والآداب الإسلاميَّة الفاضلة في نفوس مريديهم، وبذلك استطاعوا أنْ يبنوا مجتمعاً تسود فيه روح الفضيلة والمودَّة والمحبَّة، وغيرها من صفات حميدة ساعدتْ في تماسك المجتمع، وتثبيت دعائم التَّكافل الاجتماعي فيه، فتأثّر بهم من حولهم من النَّاس فالتحقوا بركبهم، وهذا الأمر ساعد كثيراً على نشر هذه الطَّريقة في أنحاء مختلفة من بقاع العالم، وأكثر المناطق انتشاراً فيها هي إفريقيا ثمَّ تليها آسيا.

وقد اتّصفت الطَّريقة التِّجانيَّة واشتهرت بأنَّها طريقة العلم والعلماء، حتّى أنَّ أحد ألَدِّ أعدائها وصفها بذلك. وقد أورد الشَّيخ "عُمر مسعود التِّجاني" أمور جعلت الطَّريقة التِّجانيَّة تشتهر بذلك، فقال: «إنَّ خصوم الطَّريقة التِّجانيَّة والمنكرين عليها مُقِرُّونَ لها بأنَّ شيوخها علماء من عِلِيَّة القوم»[4]، ويكفينا ذلك أنَّ "الهلالي"، وهو عدوُّ التِّجانيين اللدود وخصمهم الشَّديد الخصومة لهم،

يقول عنهم: «رأيت الطُّرق المنتشرة في بلادنا قسمين قسمٌ ينتمي إليه العلماء وعِلِيَّة القوم، وقسمٌ ينتمي إليه السُّوقة وعامَّة النَّاس. ثمّ قال: والطَّريقة التِّجانيَّة...، وإنْ كان أهلها في بلادنا قليلاً، تؤلِّفُ القسم الأوَّل»[5].

ويصف الشَّيخ "عبد الحليم محمود"، مفتي جمهوريَّة مصر العربيَّة، التِّجانيَّة بأنَّها من طرق أهل التَّزكية، تزكية النَّفس، الذين تخصَّصوا لتصفية القلوب من المعاصي الباطنة، وهم الذين يسمّيهم العلماء المحقِّقون (الصُّوفيَّة). ثمَّ استطرد قائلاً: وإذا كان من العلماء منْ تخصَّصوا لدراسة العقائد، وردِّ شُبَهِ الملحدين والمشكِّكين، ومنهم من تخصَّص في دراسة السُّنَّة ورجالها لتمييز الصَّحيح من غيره من حديث رسول الله ε، فإنَّ منهم من تخصَّص في تزكية النُّفوس وتربية الهِمَمِ، وتطهير القلوب من الأدران والأرجاس، سيْراً في طريق التَّقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى بحسب الطَّاقة الإنسانيَّة، وَهُمُ الصُّوفيَّة، ومنهم التِّجانيون[6].

على هذا النَّهج ربَّت الطَّريقة التِّجانيَّة أتباعها من مريدين وعلماء، حتى غدوا مؤثرين في من حولهم، وبهم انتشرت الطَّريقة في شتى الأصقاع، ومنها: إفريقيا، فكيف دخل لها؟

2)- دخول الطَّريقة التِّجانية لإفريقيا: لاشكَّ أنَّ الإسلام قد دخل عموم قارة إفريقيا شرقاً وغرباً وشمالاً مع حركة الفاتحين الأوائل[7]، والدُّول الإسلاميَّة الأولى التي تكوَّنت ببلاد المغرب الإسلامي كالدَّولة الرُّستميَّة واستغلالها علاقاتها التِّجاريَّة[8]، وكذا عن طريق الدُّعاة والتُّجار[9]، وتجذَّر بقيام الممالك الإسلاميَّة هناك كمملكة "سنغاي"[10] ومملكة "مالي"[11]، وتواصلت حركة إنتشار الإسلام بين القبائل الإفريقيَّة بمجيء الطُّرق الصَّوفيَّة، ومنها: الطَّريقة التِّجانيَّة التي كان لها حضوراً قوياً من خلال تلامذة الشَّيخ "أحمد التِّجاني" الذين حملوا طريقته وتعاليمه و أوصلوها إلى إفريقيا، ومن هؤلاء الأوائل نجد الشَّيخ "مُحمَّد الحافظ الشِّنقيطي"[12] الذي ذاع سنده في عموم إفريقيا وأدخلها باتجاه "مالي" و"السينغال"؛ وكذلك الشَّيخ "عمر الفوتي"[13] الذي نشر الإسلام وفق منهجه الصُّوفي بالكلمة الحسنة، والإقناع بالمحاججة والبيِّنة، فأنار العقول وحاول جاهدا محاربة الوثنيَّة والأخذ بيد القبائل الإفريقيَّة إلى الله، كما نجده استعمل المنهج الثَّوري في التَّصدي للقبائل التي ناوأته، مع التَّصدي للمحتل الفرنسي الذي دخل برَّ إفريقيا سالبا للخيرات ومستعبداً للعقول والمقدَّرات، فكان تصديه هذا سبيل خير في نشر الإسلام وكشف زيف حضارة ومدنيَّة الغرب الاحتلالي. ومن بعده واصل نشر الطَّريقة التِّجانيَّة تلاميذه ومُحبوه حتى وصلت "الغابون" في أواسط القارة الإفريقيَّة[14].

ثانياً- الطَّريقة التِّجانيَّة والعوامل المؤدية لاستقطاب المريدين:

هناك عدَّ عوامل ساعدت الطَّريقة التِّجانيَّة على الانتشار السَّريع واستقطاب المريدين بغرب ووسط إفريقيا، يمكن تقسيمها إلى: عوامل ذاتيَّة تدخل ضمن بُنية الطَّريقة التِّجانيَّة، وعوامل خارجيَّة بسبب الوضع السياسي وانعكاساته الذي كان يعيشه سكَّان الغرب الإفريقي.

1)- العوامل البُنيويَّة الذَّاتيَّة: تميَّزت الطَّريقة التِّجانيَّة بأنها طريقة غير خلواتيَّة[15] – لا تمارس الخلوة في تربية المريد -، كما أنَّ أورادها وزمن أدائها امتازت باليسر والسُّهولة، ناهيك عن منهجها الوسطي[16] في فهم مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة والعمل بمقتضى أحكامها، وكذا وسطيته في تربية مريديه[17] والتَّعامل مع الأخر، والعطاءات الإلهيَّة[18] التي وعد بها الشَّيخ "أحمد التِّجاني" كلَّ من تعلق بحبال ولايته في الوصول إلى الله، والخير العميم الموجود في أوراد هذه الطَّريقة ونظامها[19]؛ كلُّ هذه العوامل كان لها الفضل الكبير في انتشار الطَّريقة التِّجانيَّة بإفريقيا ومنها إلى كلِّ العالم[20].

2)- العوامل الخارجيَّة: تتعلق بواقع السُّودان الغربي السِّياسي، حيث كانت تسوده أنظمة حكم ارستقراطيَّة تقليديَّة بالدُّول الإسلاميَّة وغير الإسلاميَّة منها، والتي كانت تستند إلى الاستبداد واستغلال الشَّعب في الأشغال الفلاحيَّة والأعمال التِّجاريَّة، مع إجبارها شعوب تلك البلدان على أداء ضرائب ثقيلة، فقامت حركات ثوريَّة تريد تغيير هذا الواقع، طيلة القرنين 17م و 18م وحتى القرن 19م، فاصطدمت هذا الثَّورات بمعارضة المتضررين من هذه التَّغيرات، التي تروم إلى إرساء قواعد العدالة الاجتماعيَّة والمساواة بين النَّاس. وكانت هذه القوى المعارضة غالبا ما تُحقق أهدافها بتواطؤها مع قوى خارجيَّة مثل "فرنسا" التي لم تكن تنتظر أحسن من مثل هذه الفرص[21].

بفعل هذا الواقع كانت بلاد غرب إفريقيا ضعيفة المناعة سهلة الاكتساح من قبل الأعداء. ومن المعلوم أنَّ أعتى عدو بجوار هاته البلدان الغنيَّة من جهة الشَّمال الشَّرقي لنهر السِّينغال هي دولة "كارطا" الوثنيَّة[22] التي إمَّا أنَّها كانت تستعرض عضلاتها فتوسع حدودها كما تشاء أو أنَّها كانت تتدخل لصالح هذا الحاكم أو ذاك لترجيح كفته ضدَّ عدوِّهِ[23].

وهذه الحالة المزمنة من عدم الاستقرار واستغلال الحكَّام للمحكومين، وسيادة أنظمة سياسيَّة وأنماط خاصة أساسها تُجَّار الرَّقيق والاسترقاق وعجز الطَّريقة القادريَّة[24] عن تغيير الواقع المتردي، وما رافق ذلك من تدخل أجنبي في الشُّؤون الدَّاخليَّة، في جلِّ بلدان "سينغامبيا[25] - **Sénégambie**"، هذه الحالة هي التي ولدت الشُّعور باليأس وعدم الرِّضى لدى كلِّ الفئات الشَّعبيَّة التي تعيش في ظلِّ هذه الأنظمة، مما جعلها تبحث عن التَّغيير في غيرها[26].

ومن العوامل التي أدَّت إلى استقطاب المريدين باتجاه الطَّريقة التِّجانيَّة، سمعة التِّجانيَّة وشيخها "أحمد التِّجاني" والصَّدى الطَّيب الذي كان يتمتع به صيطه الواصل من مدينة "فاس" ومن "بلاد شنقيط"، التي لا تفصلها على غرب إفريقيا إلاَّ نهر السِّينغال، وكان للشيخ "مُحمَّد الحافظ العلوي الشِّنقيطي" الفضل الكبير في نشرها بكثافة.

كذلك الأطماع الفرنسيَّة التي حامت حول غرب إفريقيا بصفة عامة والسِّينغال بصفة خاصة، كانت وراء تذمر السُّكان وشعورهم بالإحباط من رؤية بلادهم تخضع للاستغلال البشع من الفرنسيين أمام عجز حُكَّامهم المزمن الذين مهروا في ممارسة شتى أنواع الذُّل والمهانة عليهم، وعوض أنْ يقوم هؤلاء الحكَّام بما من شأنه أنْ يُوقف تَقدُّم العدو الفرنسي في البلاد، دخلوا معه في سلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات على امتداد عدَّة عقود تقضي بإطلاق يد العدو الفرنسي في أراضي نهر السِّينغال الأسفل والأوسط[27]، ما ترتب عنه استغلال الخيرات الطَّبيعيّة والطاقات البشريّة مقابل ضرائب عُرفيَّة في شكل هدايا عينيَّة كان المستفيد منها الحكَّام ومساعدوهم ومن دار في فلكهم من الطُّغمة البيروقراطيّة الفاسدة[28].

كلُّ هذه العوامل أدت إلى انتشار الطَّريقة التِّجانيَّة سريعا وساعدت الحاج "عمر الفوتي" على نشر تعاليمها، التي رأى الكثير من شعوب المنطقة أنَّ فيها من الوعود والفضائل ما يحقِّق سعادة الفرد في الدّارين، فتخلى الكثير منهم عن الطَّريقة القادريّة وراحوا يلتمسون الانخراط في الطَّريق الصُّوفي الجديد ألاَ وهو الطَّريقة التِّجانيَّة، و اتباع رَجُلها القدوة الشَّيخ الحاج "عمر الفوتي" الذي جُدِّد به أمر الإسلام[29] في غرب إفريقيا.

ثالثاً- الآليات التي اعتمدتها هذه الطَّريقة في نشر الإسلام بإفريقيا:

اعتمدت الطَّريقة التِّجانيَّة في نشرها للإسلام بإفريقيا عدَّة آليات، منها: التَّعليم، وحضور شخصية القدوة الفاعلة الشَّيخ "عمر الفوتي".

1)- التَّعليم باللسان العربي: بادرت الطَّريقة التِّجانيَّة بِطَرقِ باب التَّعليم في إفريقيا من خلال تعليم اللغة العربيَّة، التي قبل بها أهالي إفريقيا، لا لغة عبادة فحسب، وإنَّما لغة خطاب وتواصل في

شؤون الحياة كلِّها؛ فمارست بذلك الطَّريقة التِّجانيَّة **التَّثاقف**[30] في أرقى صوره وعطاءاته الحضاريَّة... حيث حظيت اللغة العربيَّة بالقبول والحبِّ والتِّرحاب من خلال الإقبال عن تعلُّمها والنُّطق بها[31]. وفي هذا المقام يقول "توماس أرنولد": «إنَّ اللغة العربيَّة، وهي لغة الدِّيانة الإسلاميَّة قد بلغت حداً يفوق كلَّ وصفٍ، فقد أصبحت لغة التِّخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقيَّة»[32].

ولقد نشط الأفارقة أنفسهم في نشر اللغة العربيَّة وتعليمها ونشر المعارف بها، فلم يعتبروا ذات يوم أنَّ نشر اللغة العربيَّة شأن العرب دون غيرهم[33]، وما يؤكد هذا الأمر هو إقبال مقاديم الطَّريقة التِّجانيَّة ومنهم: الشَّيخ "عمر الفوتي" الذي ارتكز في حركته على نشر المعرفة من خلال اللغة العربيَّة، وذلك من خلال تلقين من وفدوا إليه للاستزادة العلميَّة والتَّعلُّم لعلوم الدِّين وتعاليمه، وكذا تحفيظ القرآن الكريم، وسائر المتون الفقهيَّة واللغويَّة، وهذا كلُّه بالاستناد على اللغة العربيَّة، من أجل نشر الإسلام في المناطق التي لم يعمُّها بعد، وتطهيره من الشَّوائب في الأقطار التي يكوِّن فيها المسلمون الأغلبيَّة[34].

فباستخدام هاته الآليَّة تمَّ توطيد أركان الدِّين الإسلامي في النُّفوس والأوطان الإفريقيَّة، وبالاعتماد عليها تمَّ الاستثمار في شحذ همم أهالي إفريقيا في التَّصدي للمد الاحتلالي الغربي الذي كان يتمدد إلى قلب إفريقيا الغربيَّة[35].

2)- الحضور الاجتماعي والسِّياسي لشخصيَّة الشَّيخ "عمر الفوتي": كما هو معلوم أحبَّ الشَّيخ "عمر الفوتي" الطَّريقة التِّجانيَّة التي انتهجها، وأَمَّ مراكزها بمناطق السُّودان الغربي كأهالي: "ماسينه"، و "فوتاتورو"، و"فوتاجالون"، وغيرها، حيث انظمَّ هؤلاء تحت رايته، فكانوا طيلة أربعين سنة هم سادة السُّودان، ولـمَّا عَلَتِ كلمة الشَّيخ "عمر الفوتي"، حشد جيشاً صغيراً من تلاميذه وأثار جميع مسلمي بلاد "غابون" وهزم "البامبارة" الوثنيين شرَّ هزيمة في "تومبيا"، واستولى بعدها على "كونيا كاري"؛ وفي سنة 1854م جعل مقرَّه العام في "نيوز" ثمَّ استولى على مملكة "سيغو" وعلى بلاد "ماسينه"، وكانت وفاة "عمر الفوتي" سنة 1864م وهو في حرب مع زنوج "ماسينة"، وقد خلفَّ للطريقة التِّجانيَّة سُلطة إسلاميَّة عظيمة في وسط بلاد الزُّنوج الفتيشيين[36]، "قاد حروبا متعدِّدة ضدَّ الوثنيين والمسحيين وضدَّ الاحتلال الفرنسي في السِّينغال والبلدان المجاورة، وكان يحاول إقامة دولة فيدراليَّة إسلاميَّة في غرب إفريقيا، لكن جيوش الاحتلال كانت عَقبة في سبيل إنجاز مشروعه، ورغم ذلك استطاع أنْ يُحقِّق بعض مراميه في بعض النَّواحي، فدخل على يده وأيادي أتباعه ملايين من النَّاس إلى الإسلام، وانخرط الكثير منهم في الطَّريقة التِّجانيَّة، ومع اشتغاله بالجهاد والدَّعوة والأسفار الطَّويلة، كان شديد الاهتمام بالعِلم ففتح عدَّة مدارس للتعليم تخرج منها أئمة وعلماء، وقد ألَّف عدَّة كتب أهمها: "رماح حزب الرَّحيم في نحور حزب الرَّجيم"، وأشهر تلاميذه "المختار بن وديعة الله"، و"مُحمَّد بن عثمان"، مؤلف كتاب "حسم الجدال"[37].

ويزعم بعض المؤرّخين أنَّ بعض التِّجانيُّين استعملوا طريق العنف في نشر الطَّريقة التِّجانيَّة ويلحدون في أقوالهم على بُنات الدَّولة العُمريَّة الفوتيَّة التِّجانيَّة في غرب إفريقيا، وللعلم أنَّ مؤسِّس أركان هذه الدَّولة صاحب شخصيَّة فذَّة إذْ يصنّف من أبرز بُنَات الدّول العظام الذين عرفتهم القارّة الإفريقيَّة، ولم يلقِّن الشّيخ "عمر الفوتي" ولا أحد من رجاله، في الطِّريقة التّجانيّة بالسّيف قطّ إذْ من المعلوم أنَّ أوَّل شروط الطَّريقة التِّجانيَّة هو الطَّلب الصّادر من المريد ثمَّ تَلفُّظه بالقبول لشروطها بطيبة النَّفس، فهي عقدٌ مبرم بين طرفين متكافئين لا غير، إنَّما حقيقة الشَّيخ "عمر الفوتي" غلب عليها مجدُ مساره في بناء دولته على محورين أو تحت عنوانين، الأوَّل كونه قائد وفاتح إسلاميّ على غرار الفاتحين المسلمين الذين سبقوه في هذه القارّة، مثل: "عبد الله بن ياسين"

و"يوسف ابن تاشفين" مؤسّسي دولة المرابطين، وبالأحرى فهو جامع لشخصيتين متكاملتين يتجلّى فيها الفاتح الإسلامي الذي ينشر الإسلام على سُنَّة السَّلف الصَّالح من الفاتحين المسلمين، والخليفة للطريقة التِّجانيَّة التي بُنيت علاقتها بين الأطراف في عقد اجتماعي يقوم على الطَّلب بطيب نفس والرِّضى التَّام على أساس لا إكراه في الدِّين. ولمن يُدقّق في حياة الشّيخ "عمر الفوتي" يتفاجأ لمعرفة حقيقة هذا الرَّجل الذي يجمع في وعاء واحد الفاتح المسلم، والخليفة الصُّوفي، والمفكِّر الانساني، والمؤلف الجامع لكتب الحقيقة ككتاب "الرّماح" الذي هو من أبرز مراجع الطَّريقة التِّجانيَّة، والدُّبلوماسي الذي كتب المئات من الرسائل السِّياسيَّة، والإداري المنظَّم لأركان الدَّولة النَّاشئة، والمعماري المؤسِّس لكثير من المدن والعواصم الحضاريَّة في إفريقيا. ومع هذا كان مربِّيًّا روحيًّا للمريدين الذين أخذوا بواسطته الطَّريقة التِّجانيَّة. ولهذا نجد أنَّ أحد رجال الاستعمار الفرنسيين بالسِّينغال وهو "**Faidherbe**" يصفه بالقائد القوي مُتعدِّد المهارات[38]، والذي يجب الحذر منه[39]؛ لأنَّه يحمل مشروعاً متكامل الأركان ضدَّ الحملة الصَّليبيَّة الجديدة التي كانت تقودها فرنسا من خلال التَّنصير[40].

ويروى عن سيرته أنّه أتمّ قراءة صحيح البخاري ستَّة عشرة مرَّة مُدرِّسا إيَّاه لجنوده وتلامذته الألفين وخمس مائة، الملازمين له في جميع أحواله في حالة السِّلم أو في حالة الحرب، لمدّة ثمان عشرة عاماً قضاها في إنشاء وإدارة دولته وتوسيعها إلى أن صارت تلمُّ أقطاراً موزَّعة اليوم بين اثني عشرة دولة حاليَّة في وسط إفريقيا وغربها تمتدُّ بين تمبكتو بمالي حتى غانا[41].

هذه الشَّخصيَّة القدوة الحاضرة والفاعلة، كان لها دوراً بارزا في نشر الإسلام بعموم إفريقيا، إمَّا من خلال فعلها الميداني التَّعليمي والجهادي، أو من خلال تلاميذها ومُحبِّيها[42]. وعليه يمكننا القول أنَّ الطَّريقة التِّجانيَّة قد كوَّنت رجالاً كانوا رافدا قوياً للإسلام[43].

رابعاً- أثر انتشار الإسلام بإفريقيا على أيدي التِّجانيَّة(الدَّعوة):

كان للطريقة التِّجانيَّة ورجالها أثراً بارزاً في نشر الإسلام والدَّعوة له، حيث أنَّهم لا يقتصرون في تعاليمهم على بثِّ التَّصوف والزَّهادة الرُّوحيَّة، بل اجتازوا ذلك باتجاه أدغال إفريقيا يبثون الإسلام، فمشايخ التِّجانيَّة بإفريقيا كانوا يربُّون الأفارقة ويُعلمونهم الإسلام، وينشؤون لهم المعاهد التي تُدرِّس شريعة الإسلام، ثمَّ يكوّنون الطَّلبة ويرجعونهم إلى أقوامهم دعاة ومدرِّسين في المعاهد التي أنشؤوها، وقد استمروا على ذلك حتى انتشر الإسلام في غرب إفريقيا ووسطها؛ وبهم أصبحت الكثرة الكاثرة من المسلمين الأفارقة من المسلمين الأقوياء في تديُّنهم[44].

لقد أدَّت المعاهد التي أنشاءها مشايخ الطَّريقة التِّجانيَّة، دور المنارات التي تبثُّ الثَّقافة الإسلاميَّة، ناهيك على دورها التَّعليمي والإرشادي، حيث كان يتم فيها تدريس الكثير من العلوم الإسلاميَّة الأساسيَّة من: التَّفسير والحديث والفقه إلى جانب العلوم الأخرى المتصلة بحياتهم كالتَّاريخ وعلم الفلك والطِّب التَّقليدي والجغرافيا والفلسفة والمنطق... وكمثال على ذلك، المعاهد التي أنشأها الشَّيخ "إبراهيم نياس[45]"[46] بمدينة "كولخ"، وكذلك زاوية مدينة "تيواوون - **Tivaouane**" بغرب السِّينغال التي أنشأها الشَّيخ "مالك سي"[47]، والتي اعتبرت مركز إشعاع ثقافي عام[48].

ومن خلال هذه المراكز ومثيلاتها أصبح تِعداد المسلمين بغرب ووسط إفريقيا بالملايين[49].

وهنا يمكننا إدراج تعليق لأمير البيان "شكيب أرسلان"[50] على أحد المستشرقين الفرنسيين، وهو: "بوني موري – **BONNET Maury** "[51] الذي فرح بقضاء فرنسا على حركة الشَّيخ الحاج "عمر الفوتي". فقال أمير البيان: «يشير إلى أنَّ إفريقيا كادت تكون كلُّها إسلاميَّة لولا قضاء فرنسا على سلطنة التِّجانيَّة»[52].

وهذا الكلام يُدلِّل على مدى نشاط الطَّريقة التِّجانيَّة في نشر الإسلام، بكلِّ نشاط وحماسة، وكذا تصديها لظاهرتي التَّبشير والتَّنصير الأداتين العمليتين للظَّاهرة الاستعماريَّة في إفريقيا[53].

خامساً- خاتمة (استنتاجات):

بناءً على ما قُدِّمَ في متن هذه المداخلة توصلنا إلى عِدَّة نتائج، نوردها كالتَّالي:

✓ الملاحظ أنَّ الطَّريقة التِّجانيَّة قد مرَّت بعدَّة مراحل في المواطن الإفريقيَّة، أوَّلها: الظُّهور، ثمَّ الانتشار، ثمَّ التَّمكين، بدأ من مُحمَّد الحافظ العلوي الشِّنقيطي الذي أسهم مع تلاميذه في إدخالها إلى غرب إفريقيا، وهم واصلوا طريقه ومسيره إلى أواسط إفريقيا.

✓ لقد اهتم السَّادة التِّجانيَّة بنشر الإسلام أوَّلاً، ثمَّ تعاليم الطَّريقة التِّجانيَّة ثانياً؛ لأنَّ أحد شروط هذه الطَّريقة أنْ يأخذها من أرادها على رضى وبإقبال، لا إكراه، ولهذا كلُّ من انتسب إلى هذه الطَّريقة انتسب لها على حبٍّ وقناعة، وإنْ لم يرد ذلك فله أنْ يبقى على إسلامهِ بالطَّريقة التي يُريد على قاعدة "لا إكراه في الدِّين".

✓ عملت الطَّريقة التِّجانيَّة على نشر الإسلام وفق لازمتين، هما: تعليم اللغة العربيَّة، لأنَّه لا يمكن فهم مقاصد الدِّين الإسلامي واحكامه، إلاَّ من خلال تعلُّم اللغة العربيَّة، وبهذا انتشر اللسان العربي بين الجنس الإفريقي، بل أصبح

هو من يعلِّمها ويُنافح عليها.

أمَّا اللازمة الثَّانية: فهي اِلتزام مشايخ الطَّريقة التِّجانيَّة بتقديم النُّموذج والقدوة داخل المجتمع الإفريقي المتواجدين به، حتى يتمكنون من سياسته والأخذ بيده، فالقدوة عند الصُّوفيَّة هي التي تُربِّي بالحال قبل المقال، على قاعدة "أنْ يكون حالي يغني عن مقالي".

✓ أسَّست الطَّريقة التِّجانيَّة أينما حلَّ مشايخها وعلمائها ورجالاتها الزَّوايا والمدارس، لأجلِّ القيام بشؤون تعليم الأمَّة الأفريقيَّة، فأصبحت زواياها هذه ومدارسها مراكز للإشعاع الفكري ونشر الإسلام وحضارته بين مختلف السُّكَّان والأطياف العُمْرِيَّة، حيث بَرزت بين هؤلاء النَّاس النَّزعة الصَّوفيَّة القويَّة أيماناً وعلماً وتأليفاً، فبذلك استطاعت التِّجانيَّة تقديم نماذج قويَّة على التَّكوين المتكامل للفرد المسلم، وخير مثال على ذلك: الشَّيخ "عمر الفوتي"، ومن أتى بعده مثل: الشَّيخ "إبراهيم نياس".

✓ لقد امتلكت الطَّريقة التِّجانيَّة بعداً استراتيجياً في تكوين الفرد المسلم الإفريقي، لأنَّه لا يمكن لأيِّ أمَّة أنْ تبني مجدها الحضاري إلاَّ من خلال التَّعويل على سواعد أبنائها، وهذا ما دآبت عليه الطَّريقة التِّجانيَّة التي أسَّست لهذا المشروع، فاهتمت بالفرد الإفريقي تنشئة وتربية وتعليماً وتثقيفاً موسوعياً، وليومنا هذا يظهر هذا الأمر جلياً بين أفراد المجتمع الإفريقي المنتسب لهذه الطَّريقة؛ لأنَّ من خلاله استطاعت أنْ تقاوم المدِّ التَّبشيري والتَّنصيري الصَّليبي، ومشاريع الاحتلال الغربيَّة، وحاولت أنْ تترك القارة الإفريقيَّة بيدي أبنائها الأفارقة المسلمين، المتسلِّحين بالعلم والمعرفة على قاعدة أنْ "لا اتمام للبناء الإسلامي للفرد المسلم إلاَّ بالعلم" لأنَّ الطَّريقة التِّجانيَّة "طريقة علمٍ وعلماء".

قائمة المصادر والمراجع

أوَّلاً- المصادر:

أ)- باللغة العربيَّة:

1)- أبو العباس أحمد الدِّرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، **ج.2، ط.1**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م.

2)- حرازم علي بن العربي براد: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج.1، ج.2، ط.1**، المكتبة العصرية، بيروت، 2004م.

3)- شكيب أرسلان: **سيرة ذاتيَّة**، تحر: سوسن النَّجار نصر، **ط.1**، الدَّار التَّقدميَّة، بيروت، 2008م.
4)- عبد الله بن مُحمَّد العياشي: **الرّحلة العياشيَّة 1661 – 1663م**، تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، **ج.2، ط.1**، دار السُّويدي للنشر والتَّوزيع، أبو ظبي، 2006م.
5)- عبد الرَّحمن السَّعدي: **تاريخ السُّودان**، تح: حماه الله ولد السَّالم، **ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2012م.
6)- محمَّد بن محمَّد الحجوجي: إتحاف **أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطَّريقة التِّجانية**، تح: كنون محمد الراضي، **ج.1، ط.1**، دار الأمان للتوزيع، المملكة المغربية، 2012م.
7)- مُحمَّد العربي بن السَّايح: **بغية المستفيد لشرح منية المريد، ط.3**، دار التِّجاني للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، تغزوت - الوادي، الجزائر، 2008م.
8)- مُحمد النَّذير تجاني: **أعراف وعادات التَّجانيَّة على الصَّعيد الاجتماعي والسِّياسي**، دراسة مخطوطة لم تنشر بعد، ص2، (لديا نسخة ورقية من الدِّراسة).

ب)- باللغة الأجنبيَّة:

1) - Annuaire du Sénégal: **des années 1858 à 1904, Saint Louis**, Imprimerie du Gouvernement Bulletin administratif du Sénégal depuis 1819.

ثانياً- المراجع:

أ)- باللغة العربيَّة:

1)- أحمد الأزمي: **الطَّريقة التِّجانيَّة في المغرب والسُّودان الغربي خلال القرن التَّاسع عشر الميلادي، ج.3، ط.1**، مطبعة فضالة، المحمديَّة – المملكة المغربيَّة، 2000م.
2)- أحمد سكيرج: **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشَّيخ التِّجانى من الأصحاب، ط.1**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
3)- أسعد الخطيب: **البطولة والفداء عند الصُّوفيَّة، ط.3**، دار الفكر، دمشق، 2006م.
4)- أنور الجندي: **العالم الإسلامى والاستعمار السِّياسى والاجتماعى والثَّقافى، ط.1**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م.
5)- الخليل النَّحوي: **إفريقيا المسلمة. الهويَّة الضَّائعة، ط.1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
6)- صلاح مؤيد العقبي: **الطُّرق الصُّوفيَّة والزَّوايا بالجزائر. تاريخها ونشاطها**، **(ط. خ)** دار البصائر، الجزائر، 2009م.
7)- عبد الله سالم مُحمَّد بازينة: **إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصَّحراء، ط.1**، منشورات جامعة 07 أكتوبر، مصراته – ليبيا، 2010م.
8)- عبد الله عبد الرَّزاق: **الصُّوفيَّة والمجتمع في غرب إفريقيا، ط.1**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999م.
9)- عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الشَّيخ أحمد التِّجاني وأتباعه، ط.1**، مطبعة الوليد، الوادي، الجزائر، 2007م.
10)- عبد الرَّحمن أبو زهرة: **الدَّعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النَّبي والصَّحابة والتَّابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، ط.2**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992م.
11)- عبد الرَّحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام، ج.3، ط.7**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
12)- عبد الرَّحمن طالب: **الشَّيخ سيدي أحمد التِّجاني τ ومنهجياته في التَّفسير، والفتوى، والتَّربية، ط.1**، دار الجاحظيَّة، الجزائر، 1999م.

13)- عبد العزيز الكحلوت: **التَّنصير والاستعمار في إفريقيا السَّوداء، ط.2،** منشورات كلِّيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة، طرابلس، 1992م.
14)- عبد القادر مُحمَّد سيلا: **المسلمون في السِّينغال. معالم الحضارة وآفاق المستقبل، ط.1،** رئاسة المحاكم الشَّرعيَّة والشُّؤون الدِّينيَّة بدولة قطر، الدَّوحة، 1985م.
15)- عبد القادر زباديَّة: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493 – 1591م، ط.1،** الشَّركة الوطنيَّة للنشر والتَّوزيع، الجزائر، 1971م.
16)- عثمان بريما باري: **جذور الحضارة الإسلاميَّة في الغرب الإفريقي، ط.1،** دار الأمين للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 2000م.
17)- فهمي سعيد: **إنتشار الإسلام في إفريقيا في العصور الوسطى، ط.1،** عالم الكتب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2001م.
18)- لوثروب ستودارد: **حاضر العالم الإسلامي،** تح: شكيب أرسلان وعجاج نويهض، **ج.1، ط.3،** دار الفكر، بيروت، 1971م.
19)- مُحمَّد بن عبد الله بن حسنين الشَّافعي الطصفاوي التِّجاني: **الفتح الرَّباني فيما يحتاج إليه المريد التِّجاني، ط.2،** دار التِّجاني للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، تغزوت - الوادي، الجزائر، 2009م.
20)- مُحمَّد تقي الدِّين الهلالي: **الهدايَّة الهادية إلى الطَّائفة التِّجانيَّة، ط.1،** دار الكتاب والسُّنة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 2005م.
21)- نعيم قَدَّاح: **حضارة الاسلام وحضارة اوروبا في افريقيا الغربية، ط.1،** وزارة الثَّقافة بالجمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة، دمشق، 1965م.
22)- يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج.1، ط.1،** دار الهدى للنشر والتَّوزيع، عين مليلة – الجزائر، 2004م.

ب)- باللغة الأجنبيَّة:

1) - Mody Cossoko (S): **Contribution à l'histoire politique des Royaumes du khasso dand le Haaut Sénégal, des Origines à la conquête Française 17 en à 1890**, Doctorat d'Etat, Université de Paris, 1979.
2) - Ly Tall (M): **Le jihad Omarien dans le royaume de Ségou**, Bulletin de L'I.F.A.N, Série B. T. 35, n°3 – 4, 1983.
3) - Saint Martin (Y): **L' Empire Toucouleur et la France, un demi-siècle de relations diplomatiques (1893 - 1946)**, Dakar, 1967.

ثالثاً- الرسائل والمقالات العلميَّة:

أ)- الرَّسائل:

1)- دحمون منى: **قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثريَّة تحليليَّة،** رسالة لنيل شهادة الماجستير (**غ.م**)، تخ: آثار إسلاميَّة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005م.
2)- صغير حسن عيسى: **الشَّيخ إبراهيم نياس ومنهجه في التَّصوف والدَّعوة إلى الله،** رسالة مُكمِّلة لنيل شهادة الماجستير (**غ.م**)، تخ: دعوة إسلاميَّة، كُلِّيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة، قسم الدِّراسات العليا، شعبة القرآن الكريم وعلومه، جمعيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة العالميَّة، طرابلس، 2004م.

ب)- المقالات العلميَّة:

1)- معتوق جمال و أوسرير مُحمَّد: «الصِّحة الإيمانيَّة والوقاية من السُّلوك الانحرافي (التَّربية الصُّوفيَّة أنموذجاً)»، **دفاتر المخبر، مج.6، ع.2،** منشورات مخبر المسألة التَّربويَّة في الجزائر في ظلِّ التَّحديات الرَّاهنة، كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة مُحمَّد خيضر، بسكرة - الجزائر، 2011م.

2)- والتر رودني: «أوروبا والتَّخلف في إفريقيا»، **مجلَّة عالم المعرفة،ع.132**، تر: أحمد القصير، مُر: إبراهيم عثمان، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م.

رابعاً- المقابلات:

1)- مقابلة مع: عمر مسعود التِّجاني السُّوداني، أجريت بالزَّاوية التِّجانيَّة "بعين ماضي"، الجزائر، بمناسبة **الملتقى الدُّولي للإخوان التِّجانيين**، المنعقد أيام: 23 – 24 – 25 نوفمبر 2006م.

خامساً- المواقع الإلكترونيَّة:

1)- http://www.tidjaniya.com/ar/tariqa-tidjaniya-oraisons.php

2)- مكّي عبد الله التِّجاني: **الانتشار العالمي للطريقة التجانية، ينظر الموقع الإلكتروني**: .http://www. nafahat7 .net/index.php? page=education_spirituelle_2

3)- معجم البابطين لشعراء العربيَّة، .https://www.almoajam.org/lists/inner/5563

الهوامش:

[1] - **قصر أبي سمغون**: هو قصر قديم أسس قديماً وبحسب الرِّوايات الشفويَّة منذ القرن 3م، وهذا ليس غريباً ما دامت الشَّواهد الأثريَّة تُثبت ذلك، ومما يدلُّ على ذلك تقلُّده لعدَّة أسماء منها: "وادي الأصنام"، "واد الصَّفاح"، و"قصر أولاد سليمان"، وفي سنة 790ه/1388م سُمِّي بقصر "أبي سمغون" نسبة للولي الصالح "سيدي أبي سمغون" الذي حلَّ به. وسمَّاه الشَّيخ "أحمد التِّجاني" "القصر الأسعد" لأنَّه رأى فيه رسول الله، وبه وقع له الفتح الأكبر. **ينظر**: دحمون منى: **قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثريَّة تحليليَّة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير (**غ.م**)، تخ: آثار إسلاميَّة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005م، ص.23.

[2] - **عين ماضي**: بلدة صغيرة لها جذور تاريخيَّة، تبعد بمسيرة72كلم غربي مدينة "الأغواط"؛ وقد ذكرها العياشي في رحلته. **ينظر:** عبد الرَّحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام، ج.3، ط.7**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص.336. **وينظر**: عبد الله بن مُحمَّد العياشي: **الرِّحلة العياشيَّة 1661 – 1663م**، تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، **ج.2، ط.1**، دار السُّويدي للنشر والتَّوزيع، أبو ظبي، 2006م، ص.546.

[3] - أورادها: أوَّلها **القرآن**، وجب على كلِّ مريد يحسن القرآن أنْ يقرأ حزبين من القرآن يومياً. أمَّا أذكار الصباح والمساء، فهي كالتَّالي: **المعلوم**، وهو المحتَّم يذكر مرتين في اليوم، و**الوظيفة**، مرةً في اليوم، و**الهيللة**، مرةً في الأسبوع. **ينظر**: حرازم علي بن العربي براد: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج.1، ط.1**، المكتبة العصرية، بيروت، 2004م، ص.74 - 75. و**للاستزادة ينظر**: http://www.tidjaniya.com/ar/tariqa-tidjaniya-oraisons.php

[4] - **مقابلة مع**: عمر مسعود التِّجاني السُّوداني، أجريت بالزَّاوية التِّجانيَّة "بعين ماضي"، الجزائر، بمناسبة **الملتقى الدُّولي للإخوان التِّجانيين**، المنعقد أيام: 23 – 24 – 25 نوفمبر 2006م.

[5] - مُحمَّد تقي الدِّين الهلالي: **الهدايَّة الهادية إلى الطَّائفة التِّجانيَّة، ط.1**، دار الكتاب والسُّنة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 2005م، ص.8.

[6] - مكّي عبد الله التِّجاني: **الانتشار العالمي للطريقة التجانية، ينظر الموقع الإلكتروني**: http://www.nafahat7.net/index.php? page=education_spirituelle_2

[7] - فهمي سعيد: **إنتشار الإسلام في إفريقيا في العصور الوسطى، ط.1**، عالم الكتب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2001م.

[8] - أبو العباس أحمد الدِّرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، **ج.2، ط.1**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، ص.320.

[9] - عبد الله سالم مُحمَّد بازينة: **إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصَّحراء، ط.1**، منشورات جامعة 07 أكتوبر، مصراته – ليبيا، 2010م، ص.127 و 169.

[10] - عبد القادر زباديَّة: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493 – 1591م، ط.1**، الشَّركة الوطنيَّة للنشر والتَّوزيع، الجزائر، 1971م، ص.25.

[11] - عبد الرَّحمن السَّعدي: **تاريخ السُّودان**، تح: حماه الله ولد السَّالم، **ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2012م، ص.80.

[12] - **مُحمَّد الحافظ العلوي الشِّنقيطي**: هو مُحمَّد الحافظ بن المختار بن الحبيب العلوي الشِّنقيطي التِّجاني، وُلد سنة 1174ه/1760م، قبيلة "أدّ وعلي" في معاقل قبيلة "تاشدبيت" جنوب ولاية "اترارزة". فجدته التَّاشدبيتية هي التي تولَّت تربيته. تعلَّم على يدي شيخه "عبد الله بن الحاج ابراهيم" بـ"تكانت" حيث قضى معه 10 سنوات، وبعدها ارتحل الشَّيخ "مُحمَّد الحافظ" بنية الحج والبحث عن شيخ تربية، فقادته العناية الرَّبانيَّة إلى الشَّيخ "أحمد التَّجاني" بمدينة "فاس" فصحبه ثلاث سنين حضر خلالها الإملاءات الأخيرة لكتاب الشَّيخ "أحمد التِّجاني" الموسوم بـ: "جواهر المعاني". ونال مكانة سامية وعناية فائقة من شيخه، فقد أمَّه في الصَّلاة، وشهد له بأنَّه من أهل المقامات. أمره شيخه بالعودة إلى "شنقيط" ونشر الطَّريقة هناك، وأوصاه قائلاً: «لا تظهر نفسك حتى يظهرك الله». فعاد واشتغل بتدريس علوم الدِّين واللغة ، كما قام على تربية المريدين للطريقة التجانية وتعليمهم أصول الطَّريقة وأذكارها، وكان أحد رجال التَّربية والتَّزكيَّة. له العديد من القصائد في الشِّعر الصُّوفي. وقد توفي الشَّيخ "مُحمَّد الحافظ" سنة 1247ه/1831م. **ينظر**: محمَّد بن محمَّد الحجوجي: إتحاف **أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطَّريقة التِّجانية**، تح: كنون محمد الراضي، **ج.1**،

ط.1، دار الأمان للتوزيع، المملكة المغربية، 2012م، ص.319. **وينظر**: مُحمَّد العربي بن السَّايح: **بغية المستفيد لشرح منية المريد، ط.3**، دار التِّجاني للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، تغزوت - الوادي، الجزائر، 2008م، ص.257. **وينظر كذلك**: أحمد سكيرج: **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشَّيخ التِّجاني من الأصحاب، ط.1**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ص.267.

[13] - **الشَّيخ عمر الفوتي**: هو عمر بن سعيد الفوتي التَّكروري، ولد في قرية "حلوار" سنة 1209ه/1794م، ونشأ في بيئة إسلاميَّة وتربى تربية دينيَّة خالصة، فحفظ القرآن الكريم، ودرس علوم اللغة، كما نجده درس صحيحي البخاري ومسلم. قام الشَّيخ برحلات علميَّة عدَّة كي ينهل من معين العلم عند مشايخ بلاده وغيرها من البلدان، وعند ذهابه للحج سنة 1838م إلتقى هناك بالشَّيخ "مُحمَّد الغالي" أحد أصحاب الشَّيخ "أحمد التِّجاني" فأخذ عنه الطَّريقة التِّجانيَّة. عاد إلى موطنه "فوتاتورو" وبدأ حركة علميَّة ضخمة لمحاربة الوثنين ونشر الإسلام وكذا الطَّريقة التِّجانيَّة، كما دخل في صراع مع المحتل الفرنسي، انتهى بوفاته شهيدا على يدي القوات الفرنسيَّة سنة1281ه/1864م. خلف الشَّيخ "عمر الفوتي" خزانة من الكتب المخطوطة، كمؤلفات، منها: " حزب الرَّحيم على نحُور حزب الرجيم"، و كتاب "تذكرة المسترشدين وفلاح الطالبين". **ينظر**: عبد الله عبد الرَّزاق: **الصُّوفيَّة والمجتمع في غرب إفريقيا، ط.1**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999م، ص.120. **وينظر**: أسعد الخطيب: **البطولة والفداء عند الصُّوفيَّة، ط.3**، دار الفكر، دمشق، 2006م، ص.201.

[14] - عثمان بريما باري: **جذور الحضارة الإسلاميَّة في الغرب الإفريقي، ط.1**، دار الأمين للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 2000م، ص.238.

[15] - يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج.1، ط.1**، دار الهدى للنشر والتَّوزيع، عين مليلة – الجزائر، 2004م، ص.219.

[16] - الوسطيَّة عند الشَّيخ أحمد التِّجاني يراها بأنها لا تكون إلاَّ بالاستقامة على أحكام الشَّريعة «وجمع الهمَّة على الثَّبات عليها من غير انحراف وبعيداً عن نزغات الشَّيطان وخطرات النُّفوس المريضة وهواجسها»، ولهذا نجده قد لخصها في تعريفه للتصوف، حيث قال: « التَّصوف هو امتثال الأمر، واجتناب النَّهي في الظَّاهر والباطن من حيث يرضى(الله)، لا من حيث ترضى(أنت)».**ينظر**: معتوق جمال و أوسرير مُحمَّد: «الصِّحة الإيمانيَّة والوقاية من السُّلوك الانحرافي (التَّربية الصُّوفيَّة أنموذجاً)»، **دفاتر المخبر، مج.6، ع.2**، منشورات مخبر المسألة التَّربويَّة في الجزائر في ظلِّ التَّحديات الرَّاهنة، كلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة مُحمَّد خيضر، بسكرة - الجزائر، 2011م، ص.138. **وينظر أيضاً**، علي حرازم بن العربي براد: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التِّجاني**، المصدر السَّابق، **ج.2**، ص.194.

[17] - اعتمد الشَّيخ "أحمد التِّجاني" في تربيته الوسطيَّة على ثلاث مرتكزات هي: ذم النَّفس وعدم الرِّضا عنها. ثانياً: العمل الدَّائم والدَّؤوب مع صدق النِّية وحضور الجنان لكسب رضى الرَّحمان. ثالثاً: الاعتماد على فضل الله ورحمته. **ينظر**، عبد الرَّحمن طالب: **الشَّيخ سيدى أحمد التِّجاني τ ومنهجياته في التَّفسير، والفتوى، والتَّربية، ط.1**، دار الجاحظيَّة، الجزائر، 1999م، ص.10 – 15.

[18] - مُحمَّد بن عبد الله بن حسنين الشَّافعي الطصفاوي التِّجاني: **الفتح الرَّباني فيما يحتاج إليه المريد التِّجاني، ط.2**، دار التِّجاني للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، تغزوت - الوادي، الجزائر، 2009م، ص.89 – 92.

[19] - نفسه، ص.86 – 88.

[20] - عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الشَّيخ أحمد التِّجاني وأتباعه، ط.1**، مطبعة الوليد، الوادي، الجزائر، 2007م، ص.212. **وينظر أيضاً**: صلاح مؤيد العقبي: **الطُّرق الصُّوفيَّة والزَّوايا بالجزائر. تاريخها ونشاطها**، (**ط. خ**) دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص.119.

[21] - أحمد الأزمي: **الطَّريقة التِّجانيَّة في المغرب والسُّودان الغربي خلال القرن التَّاسع عشر الميلادي، ج.3، ط.1**، مطبعة فضالة، المحمديَّة – المملكة المغربيَّة، 2000م، ص.20.

[22] - عبد الرَّحمن السَّعدي: **تاريخ السُّودان**، المصدر السَّابق، ص.279. الهامش.2.

[23] - Mody Cossoko (S): **Contribution à l'histoire politique des Royaumes du khasso dand le Haaut Sénégal, des Origines à la conquéte Française 17 en à 1890**, Doctorat d'Etat, Université de Paris, 1979.

[24] - Ly Tall (M): **Le jihad Omarien dans le royaume de Ségou**, Bulletin de L'I.F.A.N, Série B. T. 35, n°3 – 4, 1983, p.81.

[25] - وهي المنطقة الممتدة من نهر السِّينغال حتى سيراليون.

[26] - أحمد الأزمي: المرجع السَّابق، **ج.3**، ص.21.

[27] - Saint Martin (Y): **L' Empire Toucouleur et la France, un demi siècle de relations diplomatiques (1893 - 1946)**, Dakar, 1967, p.50 – 58.

[28] - أحمد الأزمي: المرجع السَّابق، **ج.3**، ص.24.

[29] - فقال سيد الوجود ρ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**». **ينظر**: أبو داود سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، كتاب الملاحم، رقم الحديث.4291.

[30] - **التَّثاقف**: التَّثاقف هو العمليَّة التي يستطيع الفرد أو الجماعة عن طريقها اكتساب الصِّفات الحضاريَّة لجماعة أخرى من خلال الإتصال أو التَّفاعل بينهما. غير أنَّ التَّثاقف بالنِّسبة للفرد هو عمليَّة تعلم اجتماعي أشبه بعمليَّة التَّنشئة الاجتماعيَّة التي تؤدي فيها اللُّغة دوراً جوهرياً. أمَّا بالنِّسبة للمجتمع فالتَّثاقف هو عمليَّة انتشار القيم والمقاييس والأحكام الاجتماعيَّة إلى المجتمعات الأخرى مع تَعرضها لعمليَّة التَّبدُّل التي تجعلها مُنسجمة مع ظروف وأحوال المجتمعات التي دخلت إليها. **ينظر**: سارة بوزرزور، **التَّرجمة وفعل المثاقفة**، مُذكِّرة مُقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغات والفنون (غ.م)، تخ: ترجمة، كلِّيَّة الآداب والفنون، قسم التَّرجمة،

جامعة السَّانية – وهران، الجزائر، 2010م، ص60. **وينظر أيضا: الموقع الإلكتروني:** https://annabaa.org/nbanews/63/16.htm. تاريخ الزّيارة: 2023/02/08م، على الساعة 07:31.

[31] - الخليل النَّحوي: **إفريقيا المسلمة. الهويَّة الضَّائعة، ط.1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ص.30 – 31.

[32] - أنور الجندي: **العالم الإسلامي والاستعمار السِّياسي والاجتماعي والثَّقافي، ط.1**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م، ص.371.

[33] - الخليل النَّحوي: المرجع السَّابق، ص.31.

[34] - عبد القادر مُحمَّد سيلا: **المسلمون في السِّينغال. معالم الحضارة وآفاق المستقبل، ط.1**، رئاسة المحاكم الشَّرعيَّة والشُّؤون الدِّينيَّة بدولة قطر، الدَّوحة، 1985م، ص.78.

[35] - نعيم قدَّاح: **حضارة الاسلام وحضارة اوروبا في افريقيا الغربية، ط.1**، وزارة الثَّقافة بالجمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة، دمشق، 1965م، ص.126.

[36] - لوثروب ستودارد: **حاضر العالم الإسلامي**، تح: شكيب أرسلان وعجاج نويهض، **ج.1، ط.3**، دار الفكر، بيروت، 1971م، ص.397.

[37]- عبد الباقي مفتاح: المرجع السَّابق، ص.201.

[38] - Annuaire du Sénégal: **des années 1858 à 1904, Saint Louis**, Imprimerie du Gouvernement Bulletin administratif du Sénégal depuis 1819.

[39] - أحمد الأزمي: المرجع السَّابق، **ج.3**، ص.413.

[40] - الخليل النَّحوي، المرجع السَّابق، ص.100.

[41] - مُحمد النَّذير تجاني: **أعراف وعادات التَّجانيَّة على الصَّعيد الاجتماعي والسِّياسي**، دراسة مخطوطة لم تنشر بعد، ص2، (لديا نسخة ورقية من الدِّراسة).

[42] - عثمان بريما باري: المرجع السَّابق، ص.238 – 239.

[43] - عبد الرَّحمن أبو زهرة: **الدَّعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النَّبي والصَّحابة والتَّابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، ط.2**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992م، ص.80.

[44] - عبد الرَّحمن أبو زهرة: المرجع السَّابق، ص.80.

[45] - **الشَّيخ إبراهيم نياس**: هو "إبراهيم" بن "عبد الله" نياس أحد أكبر علماء الإسلام في السِّينغال، ولد بـِ:"طيبة" أحد قرى إقليم "سين سالوم" القريبة من مدينة "كولخ"، فكان ميلاده سنة 1318ه/1900م، حفظ القرآن الكريم على يد والده حفظاً جيداً قبل العاشرة من عمره. وكان والده هو شيخه ومربيه ومعلِّمه فأخذ عنه كلَّ علومه، بعد وفاة والده سنة 1340ه/1922م تصدر للإفتاء وشغل مكان والده لما كان يتميز به من شدَّة فهم، وغزارة علم، ودقة عبارة؛ تتلمذ على يده الكثير ومن شتى الأمصار، منهم: الشَّيخ "حسن سيسي"، والشَّيخ "إبراهيم صالح الحسيني"، وكذا الشَّيخ "إبراهيم مُحمَّد جوب"، وغيرهم كثر، ممن كان لهم التَّأثير الواسع والقوي في العالم. للشيخ "إبراهيم نياس" عدَّة مواقف شرعيَّة عدَّلات وابطلت العيد من الفتوى أهمها: تصديه لتنحية مقام سيدنا إبراهيم الخليل ببيت الله الحرام، فألف كتاباً وسمه بعنوان: "سبيل السَّلام في إبقاء المقام" وأيَّد طرحه بالأدلَّة والشَّواهد التي تُعزِّز نظرته، فرجحت كفته وأبقي المقام في مكانه. للشيخ "إبراهيم نياس" العديد من المؤلفات، منها: مساهمته في ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الولولفية (اللغة الأكثر انتشارا في السِّينغال)، وألَّف عدَّة كتب في مجال التَّصوف والفقه واللغة، من أبرزها: "كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس"، و"روح الأدب"، و"نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى". كما ألَّف دواوين شعريَّة معظمها في مديح النَّبي صلى الله عليه وسلم. توفي الشَّيخ "إبراهيم نياس" بمدينة "لندن" يوم 15 رجب 1395ه/23 جويلية 1975م، ودُفن في مدينته المعروفة باسم "مدينة" قرب كولخ، جنوب شرق السِّينغال في جنازة مهيبة حضرها خلق لا يحصى. **ينظر**: صغير حسن عيسى: **الشَّيخ إبراهيم نياس ومنهجه في التَّصوف والدَّعوة إلى الله**، رسالة مُكمِّلة لنيل شهادة الماجستير (**غ.م**)، تخ: دعوة إسلاميَّة، كُلِّيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة، قسم الدِّراسات العليا، شعبة القرآن الكريم وعلومه، جمعيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة العالميَّة، طرابلس، 2004م، ص.8 – 16.

[46] - عبد الباقي مفتاح: المرجع السَّابق، ص.200.

[47] - **الشَّيخ مالك سي**: أحد كبار مشايخ وعلماء الطَّريقة التِّجانيَّة؛ فهو "مالك" بن "عثمان" بن "معاذ سي" التَّكروري، وُلد سنة 1272ه/1852م في قرية "غاية" بمنطقة "داغنا" بالسِّينغال، عاش يتيماً، لكنه ورث عن والده مكتبة عامرة بالكتب والمؤلفات فوجهت مسيرته ونشأته العلميَّة، حفظ القرآن الكريم على يد شيوخ قريته "غاية"، منهم: "سميّه مالك"، وعمُّه "أحمد"، وخاله "ألفا مير"، ثم انتقل إلى" كايور" فتعلَّم "مختصر خليل" في علم الأصول على يد "مغاي أوَا"، وتنقل إلى مدن أخرى من السِّينغال لدراسة علوم النَّحو والأدب وعلوم الحضارة الإسلاميَّة، عمل معلمًا، وأسَّس المدرسة الأدبيَّة الإسلاميَّة في مدينة "تواون"، وعمل بالدَّعوة الإسلاميَّة، للشيخ "مالك سي" العديد من المؤلفات، منها: كتاب في العقيدة بعنوان: "كفاية الرَّاغبين"، وكتاب في التَّصوف بعنوان: "إفحام المنكر الجاني"، كما له العديد من القصائد الدِّينيَّة خاصة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم. توفي الشَّيخ "مالك سي" سنة 1341/1922م. ودُفن بزاويته بمدينة "تواون". **ينظر: معجم البابطين لشعراء العربيَّة،** https://www.almoajam.org/lists/inner/5563

[48] - عبد القادر مُحمَّد سيلا: المرجع السَّابق، ص.137.

[49] - عبد الباقي مفتاح: المرجع السَّابق، ص.220. وينظر أيضاً: عبد القادر مُحمَّد سيلا: المرجع السَّابق، ص.136.

[50] - **شكيب أرسلان**: هو "شكيب" - لفظ فارسي يعني "الصَّابر" - بن "حمود" بن "حسن" بن "يونس" بن "فخر الدِّين" بن "حيدر" بن "سليمان أرسلان"، من سلالة التَّنوخيين ملوك الحيرة، عالم بالأدب والسِّياسة، مؤرخ من أكابر الكتاب، يتقن اللغة التَّركيَّة، وكذا الفرنسيَّة، ينعت بأمير البيان. ولد في قرية "الشَّويفات" في 1 رمضان 1286هـ/ 5 ديسمبر 1869م التي تبعد عن

مدينة "بيروت" جنوباً قرابة عشرة أميال، ندب له والده رفقة شقيقه رجلاً يعلمهما القراءة والكتابة وهو الشَّيخ "مرعي شاهين سليمان"، كما ندب لهما والدهما معلماً ثانياً هو "أسعد أفندي فيصل" الذي أقرأهما القرآن الكريم حتى حفظا جانبا منه، ممن تتلمذ على أيديهم أو اتصل بهم في مراحل متعدِّدة من عمره، الشَّيخ "عبد الله البستاني" الذي علمه في "مدرسة الحكمة"،كما تأثر بالسيد "جمال الدين الأفغاني "تأثرًا كبيرًا، واقتدى به في منهجه الفكري وحياته السياسية . كما اتصل بالإمام "مُحمَّد عبده" و"محمود سامي البارودي" و"عبد الله فكري" والشيخ "إبراهيم اليازجي"، وتعرَّف إلى "أحمد شوقي" و"إسماعيل صبري" وغيرهم من أعلام الفكر والأدب والشِّعر في عصره. شارك "شكيب أرسلان" في تأسيس "المؤتمر السُّوري الفلسطيني" في أفريل 1921م، وانتخب أميناً عاماً له. كما أسَّس "مكتب إعلام البلدان الإسلاميَّة" بـ"جنيف" في سنة 1928م وصار هذا المكتب منبراً لكل دُعاة العروبة والإسلام، وملجأ لكل زعماء الحركات الوطنيَّة والتَّحرريَّة العربيَّة في فترة الثَّلاثينيات. اشتغل بالصَّحافة وأصدر في برلين عام 1921م جريدة "لواء الإسلام" وكانت تهدف إلى إحياء الدَّعوة إلى "الجامعة الإسلاميَّة" بعد انهيار دولة الخلافة العثمانيَّة، وأصدر في جنيف مجلَّة "الأمة العربية" بين عامي 1930 و1938 بالفرنسيَّة، بالاشتراك مع "إحسان الجابري"، وبلغ عدد مجلداتها خمسين مجلدا. أصدر "شكيب أرسلان" عشرات من الكتب بين تأليف وشرح وتحقيق، منها كتابه المشهور "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟"، وكتب عن رحلة حَجَّه "الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف"، و"تاريخ التُّرك" تعليقا على تاريخ "ابن خلدون"، و"الحلل السُّندسيَّة في الآثار الأندلسية" في ثلاثة أجزاء، وله تعليق على "حاضر العالم الإسلامي" للوثروب ستودوارد في أربعة أجزاء، حيث بلغت الشُّروح والحواشي أربعة أضعاف الكتاب الأصلي، حتى أصبح الأصل يعرف بها لشهرتها. ومن كتبه أيضا: "شوقي أو صداقة أربعين سنة"، وأصدر ديوانه "ديوان الأمير شكيب أرسلان"، و"تاريخ غزوات العرب". توفي "شكيب أرسلان" في يوم 15 محرم 1366هـ/ 9 ديسمبر 1946م بعد حياة حافلة بالعناء والكفاح والعطاء والرّساليَّة. **ينظر**: شكيب أرسلان: **سيرة ذاتيَّة**، تحر: سوسن النَّجار نصر، **ط.1**، الدَّار التَّقدميَّة، بيروت، 2008م، ص.9 – 20.

[51] - **بونيت موري**: هو القس البروتستانتي وأستاذ اللاهوت الفرنسي "إيمي غاستون تشارلز بونيت موري"، من مواليد 2 جانفي 1842م بمدينة "باريس"، والده جنرال كاثوليكي يسمّى "فريديريك بونيت"، وأمُّه بروتستانتيَّة تُدعى "جولي شابريه". تلقى تعليماً دينياً لوثرياً في ثانوية "هنري الرَّابع"، بعدها تحصَّل على شهادة البكالوريا الجامعيَّة من كلِّيَّة اللاهوت البروتستانتيَّة في "ستراسبورغ" سنة 1867م، عُيِّن راعياً لكنيسة "الوالون" في "دور دريخت" بهولندا فيما بين سنتي (1867 – 1872م)،). ثمَّ عُيِّن راعيا للكنيسة الفرنسية الإصلاحية في "بوفيه" فيما بين سنتي (1872 – 1876م)، ثمَّ في "سان دوني" فيما بين سنتي (1877 -1879م). واصل دراساته اللاهوتيَّة ودافع عن أطروحة التَّرخيص في عام 1878م، في كلِّيَّة اللاهوت البروتستانتي في "باريس"، حيث تمَّ تعيينه مسؤولاً عن دورة التَّاريخ الكنسي في عام 1879م من قبل "جول فيري"، وزير التَّعليم العام والفنون الجميلة. دافع عن أطروحة الدُّكتوراه عام 1881م وعين أستاذ كرسي في نفس العام (1881 – 1912م)، وفي سنة 1889م تحصَّل على دكتوراة في الآداب. كان أمين مكتبة ونائب مدير المتحف التَّربوي بباريس فيما بين سنتي (1885- 1890م). كما كان "غاستون بونيت موري" عضوًا في الوفد الفرنسي إلى مؤتمر الأديان في شيكاغو عام 1893م، وكذلك عضوًا في الوفد الفرنسي إلى برلمان الأديان في شيكاغو عام 1893م، وإلى مؤتمر أكسفورد للأديان عام 1908م. توفي يوم 22 جويلية 1919م وأقيم حفل تأبينه في المعبد البروتستانتي، ثمَّ دفن في مقبرة "**Père-Lachaise**" بباريس يوم 23 جويلية 1919م.

[52] - لوثروب ستودارد: **حاضر العالم الإسلامي**، المرجع السَّابق، **ج.3**، ص.397.

[53] - عبد العزيز الكحلوت: **التَّنصير والاستعمار في إفريقيا السَّوداء**، **ط.2**، منشورات كلِّيَّة الدَّعوة الإسلاميَّة، طرابلس، 1992م، ص.68. **وينظر أيضاً**، والتر رودني: «أوروبا والتَّخلف في إفريقيا»، **مجلَّة عالم المعرفة**،**ع.132**، تر: أحمد القصير، مُر: إبراهيم عثمان، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م، ص.330 – 331.